مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 25 العدد:3 السّنة: الثّلاثي الثّالث 2023 ص: 183-196

ملامح الاتساق النّصّي عند أبي الحسن الرّمانيّ

FEATURES OF THE TEXTUAL CONSISTENCY OF ABU AL-HASSAN AL- ROMAN

أ. مشوار مصطفى*

المشرف: أ. د. نجادي بوعمامة[1]

تاريخ الاستلام: 07-08-2020 تاريخ القبـول: 17-10-2020

ملخّص: يقصد بهذا البحث الكشف عن أهمّيّة التّراث البلاغيّ العربيّ القديم ويرتكز هذا المفهوم على قراءة التّراث لكشف مكنوناته الدّفينة التي تصلح لمعالجة الكثير من قضايا اللغة العربيّة الحاليّة من جوانب متعدّدة. لا يمكن الحديث عن لسانيات النّص في التّراث البلاغي العربيّ دون الإشارة إلى بعض الرّموز التي شيّدت صرح البلاغة، تقعيدًا وتأصيلا ومن هؤلاء نجد أبا الحسن الرّماني من خلال مؤلّفاته وخاصّة النّكت في إعجاز القرآن الذي سنستقي منه بعض تعريفاته فيما يخصّ الموضوع.

والمتتبّع لنصوص هؤلاء يتلمسُ فيها بوادر، لمفاهيم لسانيّات النّص كما نجده اليوم عند هاليداي في حديثه عن اتساق النّص وتون فان ديك في استحضاره للسّياق وغيرهما.

كلمات مفتاحيّة: أبو الحسن الرّمانيّ؛ النّص؛ الاتّساق؛ التّلاؤم.

Abstract: This research aims at uncovering the importance of the ancient Arabic rhetorical heritage. This concept is based on the reading of the heritage to reveal its hidden treasures that can be used to deal with many of the issues of the current Arabic language in many aspects. It is not possible to talk about the

* - جامعة تيارت، الجزائر.

البريد الإلكتروني: mechouar19811981@gmail.com (المؤلّف المرسل).

1 - جامعة تيارت، الجزائر.

البريد الإلكتروني: aboulizebouamama@gmail.com

linguistics of the text in the Arab rhetorical heritage, The building of the eloquence of the rhetoric, Takadha and Tasla, and from these we find Aba al-Hassan Ramani through his writings, especially jokes in the miracle of the Koran, which we will draw some definitions on the subject.

The text of these texts is rooted in the concepts of the textual linguistics as we find today in Haliday in his discussion of the consistency of the text, and Van Van Dyck in his invocation of contexte, Robert Deborghand, Wolfgang Dreisler and others.

Keywords: Abu AL-Hassan AL-Romani ;Text ; Consistency ; Congruence.

1. مقدّمة: استطاعت لسانيات النّص أن تستقلّ عن قريباتها من العلوم، وتنفرد بخاصّياتها ومناهجها وهذا رغم التّداخل الحاصل بين علوم اللسانيات؛ إنّه علم يرى النّص وحدة لغويّة كبرى يجتمع في تركيبه عدّة وحدات جزئيّة من روابط لغويّة يحكمها التّضام والتّماسك في سياق نصّي يؤلّف بين أو جملتين أو فقرتين، أو عدّة فقرات أو عدّة فصول.

فموضوع لسانيات النّص هو النّص الذي يأخذ صفة الاستمراريّة والتّرابط بين الأجزاء المكوّنة له فهو هدف البحث ونقطة انطلاقه. والمستقرئ لنصوص هؤلاء يتلمس فيها بوادر، لمفاهيم لسانيات النّص كما نجده اليوم عند هاليداي في حديثه عن اتساق النّص وتون فان ديك في استحضاره للسياق وروبرت ديبو جراند وولفغانغ دريسلر وغيرهم.

ويعدّ الاتساق النّصي من المواضيع المهمّة والأساسيّة في لسانيات النّص التي تضمن نصّيّة النّصوص إذ انتقلت من دراسة الجملة كوحدة لغويّة كبرى إلى دراسة النّص باعتباره الصّورة الحقيقيّة التي تجسّد اللغة من جهة وباعتباره بنيّة متسقة ومنسجمة تحتكم إلى علاقات معينة التي تظهر المعنى بحيث تكون قابلة للقراءة والتّفسير والتّأويل.

فالمتمعّن فيما جاءت به لسانيات النّص لتحديد مفهوم "الاتساق النّصي" الذي يضمن تماسك النّص والتّحامه يجد أنّ علماءنا ومنهم أبي الحسن الرّماني، قد ألمحوا

سواء من قريب أم بعيد إلى ما تضمنته كتب الغربيّين؛ فالتّشابه والتّقاطع الكبير بين علمي التّراث والغرب لا يمكن أن يكون محض الصّدفة.

ومن هذا المنطلق نطرح تساؤلا عن كيفيّة تناول الاتساق النّصي عند أبي الحسن الرّماني؟ من خلال ما تضمنته الرّسالة؟

يروم هذا البحث الكشف عن أهميّة التّراث البلاغي العربي القديم، ونستبين طريقنا بالمنهج الوصفي لكشف مكنوناته الدّفينة.

2. أبو الحسن الرّماني ورسالتّه " النّكت في إعجاز القرآن": الحياة العلميّة ليست أمرًا هينا، فليس كلّ من ولج فيه ينجح ويبزغ، بل على العكس من ذلك فالطّريق وعر وشاق لمن أراد بلوغ مرام العلم ونهايته، فالعلم بحر لا منتهى له، ومن توقيرنا للعلم والعلماء وتبجيلهما، وجب علينا التّعريف بمؤلّف الرّسالة ولو بترجمة موجزة، نبيّن من خلالها قدر الرّجل، وبعدها نعرض ما احتوت رسالتّه بإيجاز كذلك.

2.1 . نبذة عن حياة أبي الحسن الرّماني: هو أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني، الذي ولد سنة ستّ وتسعين ومائتين من الهجرة بمدينة سامراء، أو ببغداد ونشأ نشأة فقيرة واشتغل بطلب العلم، واستعان على كسب قوّته بالوراقة، وأخذ اللغة والنّحو على جماعة من شيوخ العلم مثل: أبي بكر بن دريد، وأبي بكر السّراج والزّجاج.

وكان الرّماني محبًا للعلم، واسع الاطلاع، متقنا للأدب وعلوم اللغة والنّحو، لذلك لقب بالنّحوي المتكلّم شيخ العربيّة وصاحب التّصانيف، وكان إلى جانب ذلك ميّالا لعلوم المنطق والفلسفة والنّجوم، ويبدو أثر هذه العلوم في تصانيفه وأسلوب تأليفه.

ولقد برع الرّماني في علوم شتّى من هذه العلوم علوم القرآن والتّفسير وألّف فيها وكانت له مشاركة في الحياة العامّة في بغداد، وفي أحداثها السّياسيّة الهامّة، وكان محبوبا مقدرا عند العامة والخاصّة، توفي سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة للهجرة بعد حياة حافلة.

وللرماني مكانة عند معاصريه تتّضح لنا فيما كتبه عنه أحد معاصريه وهو أبو حيّان التّوحيدي إذ قرّر أنّه «لم ير مثله قطّ علما بالنّحو، وغزارة في الكلام، وبصيرًا بالمقالات، واستخراجا للعويص وإيضاحًا للمشكل» . وقال عنه ابن سنان:«إنّه ذو مكان مشهور في الأدب وممّن اعتمد عليه ونقل عنه من العلماء: ابن رشيق، وابن سنان، وابن أبي الإصبع العدواني المصري والسّيوطي» [1].

ألّف الرّماني كتبًا كثيرة نذكر منها: التّفسير الكبير، والجامع في علوم القرآن والنّكت في إعجاز القرآن، وشرح معاني القرآن للزجاج، وشرح كتابي المدخل والمقتضب للمبرد، وشرح كتاب سيبويه ونكت سيبويه، وشرح الألف واللام للمازني وكتاب التّصريف، وكتاب الهجاء، وكتاب الإيجاز في النّحو، وكتاب المبتدأ في النّحو، وغيرها من الكتب[2].

2.2 . محتوى رسالة "النّكت في إعجاز القرآن": رسالة "النّكت في إعجاز القرآن" طبعت مع رسالتين أخريين، إحداهما" بيان إعجاز القرآن "لأبي سليمان الخطابي، والثّانيّة "الرّسالة الشّافيّة" لأبي بكر الجرجاني، وذلك ضمن، كتاب بعنوان: "رسائل في إعجاز القرآن" وقد حقّقها وعلق عليها الدّكتور: محمّد خلف الله أحمد والدّكتور: محمّد زغلول سلام، وتقع الرّسالة (في ثمان وثلاثين صفحة من القطع المتوسّط).

وتعدّ الرّسالة رسالة إعجازيّة بلاغيّة قيمة، عكست لنا اختصاصه العلمي، ومنهجه الاستدلالي التّحليلي، في إيصال أفكاره وآرائه، ومفهومه للإعجاز القرآني، ولقد كان سبب تأليف الرّسالة إجابة عن سؤال حول الإعجاز في القرآن الكريم، فقال: "تظهر وجوه إعجاز القرآن في سبع جهات وهي: ترك المعارضة مع توفّر الدّواعي وشدّة الحاجة، والتّحدّي للكافة، والصّرفة، والبلاغة، والأخبار الصّادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكلّ معجزة"[3].

ثم قسم البلاغة إلى ثلاث طبقات، وقال: "إنّ ما كان في أعلاها معجز، وهو بلاغة القرآن[4].

ثمّ عرف البلاغة بأنّها: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[5]. وأعلى طبقة في الحسن بلاغة القرآن.

كما حصر الرّماني البلاغة القرآنيّة فجعلها في عشرة أقسام وهي: "الإيجاز والتّشبيه، والاستعارة، والتّلاؤم، والفواصل، والتّجانس، والتّصريف، والتّضمين والمبالغة، وحسن البيان". ومع أنّ الرّماني رتّب وجوه الإعجاز بالصّورة الآنفة الذّكر، إلاّ أنّه بدأ حديثه عن البلاغة، متناسيا الوجوه الثّلاثة الأولى، ليدلل على أنّه مشغول بشأن البلاغة.

3. مقاربة اصطلاحيّة: من خلال الغوص في مصطلحات علمائنا القدماء أردنا أن نستوضح بعضا من هذه الاصطلاحات التي أطلقها علماء الاعجاز القرآني ونقصدبه الرّماني من خلال رسالتّه؛ فمعرفة مكنونات المصطلحات المتناولة في هذا البحث وهي

مصطلح النّص، والاتساق، والتّلاؤم، ترشدنا وتؤطر لنا سبل كيفيّة تناول الموضوع المعالج؛ بغيّة تفادي الأخطاء العلميّة.

1.3. مفهوم النّص بين الرّماني والحداثة: لسانيات النّص هي التي "تدرس انبناء النّص وكيفيّة تركيبه وتوليده وتحويله من جملة نوويّة صغرى إلى خطاب نصّي مسهب وممطّط.

بمعنى معرفة كيف تتوسع البؤرة المحوريّة دلاليا وتركيبيا وسياقيا لتتحول إلى فقرات ومقاطع ومتواليات حتى تصبح نصًّا متسقا ومنسجما"[6]؛ وعليه فإن معرفة مصطلح النّص لابد منه.

يرتكز عمل اللساني النّصي على النّص أساسا، لكن ما هو النّص؟

أ. مفهوم النّص: لغة واصطلاحا: معرفة مصطلح النّص في المعاجم اللغويّة وكذا كتب الاصطلاح يجلي لنا المعنى للنّص.

يقال في اللغة "نصّ الشّيء رفعه وأظهره، وفلان نصّ أي استقصى مسالتّه عن الشّيء حتى استخرج ما عنده، ونص" الحديث ينصّه نصًّا؛ إذا رفعه ونص كل شيء منتهاه[7]"

والنّص "مصدر وأصله أقصى الشّيء الدّال على غايته أو الرّفع والظّهور[8]".

وعند الأصوليّين لقي هذا المصطلح اهتمامًا كبيرًا باعتباره طرفًا أو جهة ما والتي كان لها حظّ الأسد من الاهتمام» علاقة اللفظ بالمعنى «جهات معادلة عندهم فنجدهم – جراء ذلك أطلقوا على بعض الألفاظ مصطلحات عديدة تبعًا لدرجات ظهور المعنى فيها وخفائه، أمّا الذي يرتبط بوضوح المعنى، فذلك هو الظّاهر والنّص والمفسّر والمحكّم. وأمّا الذي يرتبط بغموض المعنى فذلك هو الخفي والمشكل والمجمل والمتشابه[9]."

ومن الملاحظ أنّ المعنى يدور في كل ما سبق حول معاني هي:

- الرّفع ؛
- الإظهار؛
- ضم الشّيء.

وفي الاصطلاح: تعدّدت مفاهيم النّص بتعدّد المناهل والمشارب المعرفيّة والنّظريّة والمنهجيّة المختلفة، وعليه فإنّ الاختلاف حول ماهيّة النّص يكمن أساسًا في اختلاف

التّصور، والغاية من الدّراسة؛ فحدود النّص ونظريته ومفهومه يتجسّد ويتبلور وفق تلك المنطلقات العديدة.

والنّص في الاصطلاح اللساني، لا يختلف عن باقي المصطلحات الحديثة التي عانت من الكمّ الهائل من تجاذب الأفكار والآراء المعرفيّة وذلك لاختلاف الاتجاهات الفكريّة، حتى أنّها غالتّ في المصطلح إلى حد التّناقض أحيانًا، والإبهام أحيانا أخرى.

فلا نجد له تعريفًا يتحد معه عدد من الباحثين في اتجاهات لسانيات النّص بشكل مطلق، لأنّها اعتبرت فرعا علميا متداخل الاختصاصات، من جهة. كما اعتبرت علمًا يركز على النّصوص في ذاتها وعلى أشكالها وقواعدها ووظائفها وتأثيراتها المتباينة من جهة أخرى. إنّها تعريفات "تميل كلّها إلى خلق حالة منسجمة من النّظام والتّشاكل والتّماثل بين مختلف المستويات التّكوينيّة والصّرفيّة والصّوتيّة والدّلاليّة للنّص"[10]، فهو الموضوع الرّئيس في التّحليل والوصف اللغويّ.

وبناء عليه حاول بعض العلماء تعريفه وتمييزه عن غيره معتمدين على المكوّنات والعناصر التي يتألّف منها أي من خلال مفهومه وتراكيبه وترابطه؛ فنجد برينكر (BRINKER) يجعل من النّص "تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أنّ الجملة بوصفها جزءًا صغيرًا ترمز إلى النّص ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجّب ثمّ يمكن بعد ذلك وصفها على أنّها وحدة مستقلة نسب[11]".

وعلق شبلنر (CHEPILNNER) على هذا التّعريف بأنّه دائري، يوضّح النّص بالجملة، والجملة من خلال النّص، وأنّه تعريف غير منهجي من النّاحيّة العلميّة؛ لغموض الرّموز والعلاقات التي يتضمّنها، واتّساع الوصف، ومن ثمّ لا يمكن تطبيقه ولعلّ ما يهم شبلنر[12]، هو أنّ النّص تتابع، وأنّ الجملة جزء منه، فالنّص بنيّة معقّدة متشابكة، وثمّة علاقة بين الجزء(الجملة) والكلّ (النّص).

الأمر الذي جعل الباحثين هاليداي وحسن رقيّة يقولان: "أي فقرة منطوقة أو مكتوبة على حد سواء مهما طالت أو امتدّت.. هي نصّ.. والنّص وحدة اللغة المستعملة، وليس محدّدًا بحجم، والنّص يرتبط بالجملة بالطّريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة والنّص اعتباره لا شكّ أنّه يختلف عن الجملة في النّوع. وأفضل نظرة إلى النّص اعتباره وحدة دلاليّة. وهذه الوحدة لا يمكن اعتبارها شكلا لأنّها معنى، لذلك فإنّ النّص الممثّل بالعبارة أو الجملة، إنّما يتّصل بالإدراك والفهم، فيمكن أن يكون النّص كلمة واحدة

كما يمكن أن يكون جملة"[13] لا بالحجم واحدة أو امتداد من الجمل. فالنّص هو كل متتاليّة من الجمل بينها علاقات، وتتمّ هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أم لاحقة أوبين عنصر وبين متتاليّة برمتها سواء كانت سابقة أو لاحقة، لأنّ النّص لا يخضع لقياسات الأحجام، ودرجات الطّول والعرض فقد يكون كلمة، وقد يكون تركيبا مصغرا أو مجموعة تراكيب تشكّل عملاً.

نستنتج أنّ النّص هو الشّغل الشّاغل للباحثين في ميدان لسانيات نصّ من جهة. ومن جهة أخرى، هي تعريفات تشترك في نقاط جوهريّة رئيسيّة:

-النّص هو ما نطق وما كتب على حدّ سواء؛

-الاهتمام بالجانب الدّلالي والتّداولي، والسّياقي الوظيفي، أي مراعاة صلة النّص بالموقف، الذي يتضمّن المرسل والمستقبل وقناة الاتصال؛

-هي تعريفات ركزت على الاتساق وضرورته ليكون النّص نصًّا.

ب. مفهوم النّص عند الرّماني: أمّا إذا أردنا أن نستشف رأي الرّماني في ماهيّة النّص سنجد ذلك من خلال تعريفه للبلاغة حيث عرفها: "هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[14]، فنلحظ في قوله: ايصال المعنى: فيه التّنويه الى المرسل، وقوله: الى القلب: فالقصد بالمستقبل، أمّا قناة الاتّصال: فهي جملة "في أحسن صورة من اللفظ"؛ أضف إلى ذلك البعد الدّلالي في كلمة "المعنى" والسّياق والتّأثير بقوله: "القلب" وهو محل التّأثير، ولقد جلا الرّماني ذلك من خلال تطرّقه إلى أقسام البلاغة فعددها وفصلها.

2.3 الاتساق والتّلاؤم عند الرّماني: سنتوقف في هذه الدّراسة بشيء من التّفصيل عند مفهوم الاتساق النّصي محاولين تتبع جذوره في التّراث البلاغي القديم وخاصّة عند الرّماني في رسالتّه.

أ. مفهوم الاتساق النّصّي:

لغة: من أوسق ويقال "الوسق أي ضم الشّيء إلى الشّيء...والطّريق يأتسق ويتّسق أي ينظم، واتسق فالقمر: استوى، واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه... ومنه فالاتساق هو الانتظام[15]".

تتّفق معظم التّعاريف المعجميّة على جعل الاتساق ضم الشّيء والانتظام والاجتماع والاستواء الحسن، ويقصد عادة بالاتساق "ذلك التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكلة

لنصّ/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغويّة (الشّكليّة) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[16]، فعلى محلّل الخطاب أن يرصد الضّمائر والإشارات المحلّيّة إحالة قبليّة أو بعديّة مهتمًّا بوسائل الرّبط المتنوّعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة وهذا كلّه من أجل البرهنة على أنّ النّص /الخطاب كل موحّد. زيادة على أنّه ذلك: "التّرابط بين التّراكيب والعناصر اللغويّة المختلفة لنظام اللغة"[17]، فحقيقة اللغة تتجسّد في تضافر مجموعة من العناصر النّحويّة والجمل بعضها ببعض، حيث تتآزر التّراكيب وتتلاحم جل العناصر لتشكّل وحدة متناسقة متّسقة يصعب فصل أجزائها، فما يُميّز النّصّ واللانصّ في نظر الباحثين هو "الاتساق" الذي بات ضرورة حتميّة يجب توفرها في النّصوص، فمن أجل أن يشكّل كل مقطع لغوي وحدة متكاملة يجب أن تتوافر فيه خصائص معينة تعتبر سمة في النّصوص ولا توجد في غيرها. والملاحظ في هذا المخطّط أنّ الاتساق هو شرط أساسي لتحديد هويّة أي مقطع لغوي إن كان نصّاً أم لا نصّ فالاتساق هو الذي يؤكّد نصانيّة النّص وغيابه يثبت تنافر الجمل وعدم ترابطها وهذا ما يُعبّر عنه القيرواني "إذا كان الكلام متنافرا متبايناً عسر حفظه وثقل على اللسان النّطق به ومحبّة السّامع، فلم يستقرّ فقهها منه شيء"[18]، فتناسق الكلام وتضامه هو ما يساعد على فهمه واستيعاب دلالتّه، وهذا ما يؤكّده هاليداي ورقيّة حسن بقولهما "أنّ الاتساق هو مفهوم دلالي، يحيل إلى العلاقات المعنويّة القائمة داخل النّص والتي تحدّده كنصّ"[19]، فالوحدة الدّلاليّة للنصّ تأتي من الاتساق الموجود بين الجمل التي يتكوّن منها، فكل جملة في النّص تعطي نوعاً من التّرابط مع الجملة التي تسبقها والتي تلحقها فتحتوي كل جملة على رابط اتساقي بالجملة التي تسبقها في النّص من جهة والجمة التي تلحقها من جهة أخرى.

ولتوضيح المفهوم أكثر يجب الإشارة إلى التّقابل الحاصل بين المصطلحين الانسجام (Cohésion) والاتساق (Cohérence)؛ **فالانسجام** (Cohérence) أو التّرابط الفكري أو التّرابط المفهومي "يعني العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب أو معاني الجمل في النّص" [20]، أي تحديد موضوع النّص، فالنّص المنسجم هو النّصّ المستمرّ في دلالتّه.

أمّا **الاتّساق** في النّص (Cohésion) يهتم بالبنى الشّكليّة والنّحويّة للجمل.

ويؤكد محمّد خطابي أنّ الاتساق لا يتم مجموعاً والاتساق يجسّد لنا وحدة أفكار هذا المستوى الدّلالي فقط، وإنّما يتمّ أيضًا في مستويات أخرى: كالنّحو والمعجم "وهذا

مرتبط بتصوّر الباحثين في اللغة كنظام ذي ثلاثة أبعاد/مستويات: الدّلالة(المعاني) والنّحو المعجم (الأشكال) والصّوت والكتابة تتحقق كتعابير، وبتعبير أبسط: تنقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة".[21]

ويُعرف مفهوم الاتساق بمصطلحات كثيرة؛ منها: السّبك والرّبط والتّماسك وتَجدر الإشارة إلى أنّ محمّد مفتاح في كتابه "التّلقي والتّأويل" جمَعَ تحت مصطلح التّماسك مجموعةً من المفاهيم المتقاربة، ومنها التّنضيد والاتساق والانسجام والتّشاكُل[22] فكل هذه العوامل مهمة لوصف النّص بحسن الرّصف والسّبك والتّأليف على حد تعبير القدامى.

وعليه؛ فكلّ من الاتساق والانسجام مهم لتحقيق نصيّة النّص، إذ لا يمكن نفي أحدهما للآخر فالاتساق لا يكفي لتكون لنا القدرة على فهم ما نقرأ، فمن السّهل لما كان أن ننشئ نصًّا محكماً به كثير من روابط الجمل، ولكن يصعب معها تفسير النّص وذلك لانعدام الانسجام وهذا ما يجعلنا نعتبر الاتساق" بنيّة شكليّة تتميّز بترتيب البنيّة الدّلاليّة: تنظيم المعلومات معرفة الجديد من الأحداث في النّصّ - تقديم الرّسالة- موضوع النّص موضوع الموضوع، التّوازي الذي يعطي الحركيّة للنّص والمأخوذة من هذه الطّبقة الشّكليّة"[23]، فلا يتحقق الاتساق بمجرد ترابط الجمل على المستوى الشّكلي، بل لابد له من عامل آخر يحدث ربط المعاني التي يحويها النّص وهذا هو الانسجام إلاّ أنّ مجموعة من الباحثين يؤكّدون على ضرورة التّحام كلاًّ المصطلحين باعتبارهما تماسكاً نصّيّاً، يقسّم هذا التّماسك إلى تماسك شكلي وآخر دلالي.

ويعدّ أبو الحسن الرّماني من ثلّة الذين تناولوا واهتموا بهذا المفهوم اللساني الحديث في قالب تراثي، لكن أشار إليه بمصطلح التّلاؤم. وممّا سبق يجدر بنا تجليّة هذا المصطلح.

أ. **التّلاؤم:** يعنى الرّماني بالتّلاؤم: تعديل الحروف في التّأليف؛ وهو نقيض التّنافر فالتّأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطّبقة الوسطى، ومتلائم في الطّبقة العليا.

ويمثل الرّماني للتّأليف المتنافر بقول الشّاعر:

وقبـــر حـــرب بمكـــان قفـــر ❁ ولـــيس قـــرب قبـــر حـــرب قبـــر

والتّأليف المتلائم في الطّبقة الوسطى كقول الشّاعر:

رمتنـي وسـتر الله بينـي وبينهـا ❁ عشـيّة آرام الكنـاس رمـيم

رمـيم التي قالـت لجيـران بيتهـا ❁ ضـمنت لكـم ألا يـزال يهـيم

والمتلائم في الطّبقة العليا هو القرآن كلّه، وهذا بَين لمن تأمله، والفرق بينه وبين الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطّبقة الوسطى.

وينتقل الرّماني إلى تبيان السّبب في التّلاؤم فيقول: "والسّبب في التّلاؤم تعديل الحروف في التّأليف، فكلّما كان أعدل كان أشد تلاؤماً." أمّا سبب التّنافر فهو ما ذكره الخليل من البعد الشّديد أو القرب الشّديد في مخارج الحروف، وذلك أنّه إذا بعد البعد الشّديد كان بمنزلة الطّف، وإذا قرب القرب الشّديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأنّه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب. والمتأخّرون من البلاغيين لم يرتضوا هذا الضّابط، لأنّه غير مطرد، وذهبوا إلى أنّ المرجع في التّنافر إلى الإحساس والذّوق.

أمّا عن فائدة التّلاؤم فهي عند الرّماني: حسن الكلام في السّمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى في النّفس لما يرد عليها من حسن الصّورة وطريق الدّلالة ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحروف وقراءته في أقبح ما يكون من الحروف والخط، فذلك متفاوت في الصّورة، وإن كانت المعاني واحدة.

ولهذا قيمة كبرى في البلاغة، فقد سبق أن بيَن الرّماني أنّ البلاغة ليست أداء المعنى فقط، وإنّما هي إيصاله إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ والتّلاؤم يحقق ذلك، فهو إذن يمثل جانبا هاما من بلاغة الكلام، ولهذا يقول الرّماني بعد أن بيَن كلا من التّنافر والتّلاؤم: "فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان، في صحّة البرهان، في أعلى الطّبقات. ظهر الإعجاز للجيد الطّباع، البصير بجواهر الكلام، كما يظهر له أعلى طبقات الشّعر وأدناها إذا تفاوت ما بينهما[24]."

ونستنتج أنّ الرّماني لقد استطاع وذلك لباعه في شتى علوم كثيرة أن يتطرّق الى الاتساق في القرآن الكريم، ولم يكن هو الوحيد الذي تناول هذه المسألة بل سبقه اليه كثير. لكن تبين لنا أنّ الرّماني لمح لنا أنّ العلم الحديث وهو لسانيات النّص كان ممارسا عندهم بشكل ايجابي وعلمي.

5. خاتمة: فرض علم لسانيات النّص نفسه كعلم مستقل، قائم بذاته له أصول وقواعد ممنهجة تؤطّر وتنظم دراسات متنوّعة ومتفرّقة لنصوص متعدّدة. وبعد دراسة لموضوع لسانيات النّص من إحدى زواياه، في إطار زمني تراثي وفي موضوع له صلة بالبلاغة العربيّة، تجلّت لنا بعض نتائج هذا البحث المتواضع ومنها:

- أنّ مفهوم النّص كان متداولا؛
- لكن الاختلاف حول ماهيّة النّص إنّما يكمن أساسا في اختلاف التّصوّر؛
- فمنهم من رأى أنّ النّص هو تتابع لجمل، واختلفوا في طولها وقصرها، وكذا اختلفوا في دلالاتها؛
- كان هناك تباين واضح في إطلاق المصطلح بين الاتساق والانسجام، فمنهم من عكس بين المفهومين بين الشّكل والمعنى ومنهم من جعل في التّفريق بينهما أمرًا صعبًا؛
- كان تراثنا العربي البلاغي، قد تطرّق الى مفاهيم لسانيّة تخصّ النّص، وتجد ملامح لسانيات النّص في كتب المتقدّمين متناثرة في مصطلحات غير مصطلحات الحداثة؛
- أبو الحسن الرّماني من العلماء البارزين في تبيان الإعجاز القرآني، وهو يحمل علوما ورثها من علماء سبقوه أو عاصروه؛
- استطاع الرّماني إيضاح العلاقة الموجودة بين المعنى والمبنى؛ فالمبنى يستلزم وجود علاقات بين المفردات في التّأليف والتّركيب.

6. قائمة المراجع:

1. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط 3، مكتبة الأنجلو_المصريّة، القاهرة 1976.
2. إبراهيم فتح، معجم المصطلحات الأدبيّة، ط3، دار الشّرق للنشر، والتّوزيع، القاهرة 2000.
3. إبراهيم خليل، أسلوبيّة ونظريّة النّص، ط1، المؤسّسة العربيّة لدراسات والنّشر، 1997.
4. أحمد المدن، معهد الانماء العربيّة، دط، حلب، 1993.
5. أحمد عفيف، نحو النّص، اتجاه جديد في الدّرس النّحوي، ط 1، مكتبة زهراء الشّرق 2000.

6. أحمد مصطفى المراغ، تفسير المراغ، ط1، كليّة دار العلرم، مصر،1946.
7. الأزهر الزّناد، نسيج النّص، بحث فيما يكون به الملفوط نصا، ط1، المركز الثّقافي العربي، بيروت، 1993.
8. الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار التّراث للنشر، ج1 1984.
9. الشّريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، دط، مكتبة لبنان، 1985.
10. برند شبلر، علم اللغة والدّراسات الأدبيّة، دراسة أسلوب البلاغة وعلم للغة النّص، دط دت.
11. تمام حسان، الصّياغة اللغويّة، ط 1، النّادي الأدبي الثّقافي، جدة،1988.
12. حسن بحيري لسانيات النّص، ط 1، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001.
13. حسن الخمري، نظرة النّص، من بنيّة المعنى إلى سميائيّة الدّال، ط 1. دار العرب للعلوم النّاشرون، 2007.
14. حسين نصار، التّكرار، ط 1، مكتبة الجارج، القاهرة، 2003.
15. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ط 2، دار القصبة للنشر، جزائر 2006.
16. رولان بارت، لذّة النّص، تر: فؤاد الصّفا، ط 1، دار البيضاء، 1988.
17. رولان بارت، من الأثر الأدبي إلى النّص، تر: عبد السّلام بن عبد العالي، الفكر العرب المعاصر 1916.
18. سعد مصلوح الأسلوبيّة دراسة لغويّة إحصائيّة، عالم الكتب، ط 3. القاهرة، 1992.
19. سعد مصلوح، العربيّة نحو الجملة إلى نحو النّص، دط، كليّة الآداب، الكويت، 1998
20. سعيد حسن بحيري، الظّواهر التّركيبيّة في المقاسات أبي حيان التّوحيدي، ط 1، مكتبة الأدب العامة للطباعة والنّشر، 2006.
21. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط 32، دار الشّروق، القاهرة، 2003.
22. فانداك، النّص بنى ووظائف، مدخل أول إلى علم النّص، تر: منذر

23. فولفجانغ هانه من وترقه جر، مدخل إلى لغة النّص، تر: حسن سعيد بحيري، ط 1 مكتبة الزّهراء الشّرق، القاهرة، 2004.

24. مارغوت ها نمان وفولفغنغ هانمان، أسس لسانيات النّص، تر: موفق محمّد جواد المصلح، ط1، دار المأمون للترجمة والنّشر، بغداد، 2006.

25. محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، مركز الثّقافي العربي، ط 1، دار البيضاء المغرب، 1999.

26. محمّد أحمد نحلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، ط 1، دار المعرفة. الجامعيّة مصر، 2006.

27. مسعود صحراوي، التّداوليّة عند علماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة ط1، دار الطّليعة للطباعة والنّشر، بيروت، 2005.

28. نصر حامد أبو زيد وسزا قاسم، مدخل إلى أنظمة العلامات، دط، دار إلياس القاهرة 1988

29. نعمان بوقرة، مصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة، ط 1، جدار للكتاب العالم، الأردن، 2009.

قائمة المراجع باللغة الأجنبيّة :

1. HallidayM.A.K and Ruquaya Hassan ,cohesion englishe London1976

قائمة المجلاّت:

1. خيرة حمزة العين، "لسانيات النّص"، مجلّة علامات النّادي الأدبي الثّقافي، مج 71، ع 23، ص120.

7. هوامش:

1- أبو بكر الخطيب أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العربي، بيروت لبنان.ج12 ص16.

2- أبو بكر الخطيب أحمد بن علي، تاريخ بغداد، ج12، ص17.

3- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمّد خلف الله، محمّد سلام زغلول، دار المعارف، مصر، دت، ط3، ص 75.

4- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ص76.

5- المصدر نفسه، ص 76.

6- ثلاث رسائل في الاعجاز، ص97

7- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النّص، الألوكة، ط 01، 2015، ص03.

8- ابن منظور، لسان العرب، ط1414،3-1994، دار صادر، ج7، ص42-44.

9- أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان،1380-1960 ج5، ص472.

10- ينظر: السّيد أحمد عبد الغفار، التّصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبات عكاظ، الاسكندريّة، ط1، 1981، ص144-145.

11- فاضل ثامر، اللغة الثّانيّة في اشكاليّة المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقدي العربي، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط1، ص45.

12- برند شبلنر، علم اللغة والدّراسات الأدبيّة، ترجمة: محمّدو جاد الرّب، جامعة الملك سعود الرّياض، دط، دت، ص188.

13- برند شبلنر، المرجع نفسه، ص188-189.

14- العربي، ط 1 / الدّار البيضاء ا 1988 ص4. M.A.K and Ruquaya Hassan ,cohesion englishe, Halliday، عن محمّد خطابي لسانيات النّص، مدخل الى انسجام النّص لمركز الثّقافي1,2 London1976P

15- المرجع نفسه، ص26.

في ثلاث رسائل إعجاز القرآن، المرجع نفسه، ص75.

16- ابن منظور، المرجع نفسه، ج3،ص379.

17- محمّد خطابي، لسانيات النّص، مدخل على الانسجام الخطاب، ص05.

18- بشير ابرير، استراتيجيّة الانسجام في قراءة النّص الأدبي، معهد اللغة العربيّة، جامعة عنابة الجزائر، ص03.

19- ابن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت ط1981،05،ج05، ص257.

20- هاليداي وحسن رقيّة، المرجع نفسه، ص87.

صبحي، علم اللغة النّصي، ج01، ص94. إبراهيم الفقي.

21- محمّد الخطابي، المرجع نفسه، ص87

22- ينظر: محمّد مفتاح، التّلقي والتّأويل، ص157.

23 - محمّد الخطابي، المرجع نفسه، ص15.

26- المرجع نفسه، ص16.